التوحيد (٢)

الدرس الثامن

باب قول الله تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ﴾

من أحب غير الله كحبه لله تعالى، فهو من الشرك الصريح، وأشد من ذلك من يحب غير الله أشد من حبه لله تعالى.

والمحبة قسمان:

الأول: محبة عبادة، وهذه لله تعالى، فمن أحب مع الله غيره محبة عبادة فهو مشرك شركاً أكبر.

الثاني: محبة ليست عبادة، وهي أنواع:

١- المحبة لله وفي الله كمحبة الأنبياء والصالحين وغيرهم.

٢- محبة إشفاق ورحمة كمحبة الولد والصغار.

٣- محبة إجلال وتعظيم لا عبادة ، كمحبة الوالدين.

٤- محبة طبيعية كمحبة الطعام والشراب.

وهذه الأنواع بحسب نية المحب تكون محبة عبادة وقربة.

قوله تعالى: كحب الله، أي محبة مساوية لمحبة الله فيجعلونهم شركاء في المحبة، وقيل: كحب المؤمنين لله، وهذا ليس صحيحاً؛ لأن سياق الآية يخالف هذا المعنى، كما قال سبحانه: {وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ}البقرة١٦٥.

قال المؤلف رحمه الله: وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾.

الشرح: هذه الآية نزلت فيمن ترك الهجرة ورغب عن الجهاد في سبيل الله تعالى، ولا يتوقف مفهومها على من رغب عن الهجرة، وهذه الآية من آيات الولاء والمحبة العظيمة، وكثير من الناس ينسيه الانغماس في الدنيا عن حب الله تعالى ويقعده عما أمر الله تعالى به وأمر به رسوله صلى الله عليه

وسلم، فيكون بذلك مقدماً محبة الدنيا وزخرفها على محبة الله تعالى ومحبة رسوله.

قوله تعالى: فتربصوا، أي انتظروا ما يحل بكم من عقاب الله تعالى.

قال المؤلف رحمه الله: عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» أَخْرَجَاهُ.

الشرح: محبة النبي صلى الله عليه وسلم قربة وعبادة لله تعالى، ومجرد المحبة القلبية لا تكفي لإثبات المحبة، بل لابد من اتباع سنته واقتفاء أثره وهديه وطاعته، فطاعته من طاعة الله تعالى، كما قال تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}آل عمران٣١ .

وطاعته استجابة لأمر الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}النساء٥٩ .

ومن محبته أن تُقَدَّمَ محبتُه على ما سواه من البشر، وحديث أنس صريح في ذلك، وقد ثبت عن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال عمر: فإنه الآن لأنت أحب إلي من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الآن يا عمر. رواه البخاري

ونفي الإيمان بقوله: (لا يؤمن) نفي لكمال الإيمان الواجب، وقد استثنى بعض أهل العلم ما لو خلا القلب من محبته صلى الله عليه وسلم إطلاقاً فإنه نفي لأصل الإيمان.

والحكمة من محبته أكثر من الوالدين والأبناء وغيرهم من البشر، أنه سبب لهدايتنا جميعاً فالوالدين سبب لحياة الأبدان وأما النبي صلى الله عليه وسلم فقد جعله الله سبباً لهداية القلوب.

قال المؤلف رحمه الله: وَلَهُمَا عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه

وسلم: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

وَفِي رِوَايَةٍ لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى." إِلَى آخِرِهِ.

الشرح: حلاوة الإيمان: ما يجده الإنسان في قلبه من الراحة والانشراح والطمأنينة، ولا يجدها إلا المؤمنون الصادقون، الذين عاشوا إيمانهم بقلوبهم وجوارحهم، فوجدوا طعم الإيمان في أقوالهم وأفعالهم، وفي سرائهم وضرائهم، وفي مرضهم وصحتهم، لا يكادون يفرقون بين تلك الظروف، وقد ثبت عن أنس بن مالك قال: جاء ناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: أن ابعث معنا رجالا يعلمونا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلا من الأنصار يقال لهم القراء فيهم خالي حرام يقرؤون القرآن ويتدارسون بالليل يتعلمون وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء، فبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم إليهم فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان فقالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا، قال وأتى رجل حراما خال أنس من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه فقال حرام: فزت ورب الكعبة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: إن إخوانكم قد قتلوا، وإنهم قالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا. متفق عليه

وفي الحديث ثلاث صفات لمن أراد أن يجد حلاوة الإيمان:

الصفة الأولى: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

الصفة الثانية: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، لا يحبه لمال أو جاه أو لأي مصلحة دنيوية، فإن اختل هذا الشرط لن يجد حلاوة الإيمان.

الصفة الثالثة: أن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار، ومن ولد على الإسلام هل يشترط له هذا الوصف؟ وإنما يراد به كل من كان كافراً ثم أسلم.

قال المؤلف رحمه الله: وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ، وَوَالَى فِي اللَّهِ، وَعَادَى فِي اللَّهِ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وِلَايَةُ اللَّهِ بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ

عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ - وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ - حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

الشرح: الحديث ضعيف، ولا يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان معناه صحيحاً.

قال المؤلف رحمه الله: وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ قَالَ: (الْمَوَدَّةُ).

الشرح: هذه جزء من آية: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ}البقرة١٦٦، وهؤلاء المشركون تقطعت بهم الحيل، عندما تبرأ منهم من كانوا يعبدونه ويتقربون إليه في الدنيا، فينقطع عنهم كل عون وكل سند كانوا يتوقعونه، وهذا من أعظم الخيبة يوم القيامة.

معهد العلوم الشرعية العالمي

معهد العلوم الشرعية العالمي